الدَّرس السادس والعشرون
لماذا صُلب السيد المسيح؟

في هذا الدَّرس، نستعرض بعض العناصر المهمة على النحو التالي:
أولًا: الصليب هو تحقيق عدالة الله ورحمته
ثانيًا: الصليب هو التدبير الإلهي الأزلي لخلاص الإنسان
ثالثًا: الصليب هو أساس غفران خطايا الإنسان وكفارة الخطايا
رابعًا: تنبّأ رجال الله القديسون بالذبيحة الكاملة
خامسًا: الصليب أساس نجاة الإنسان من الهلاك الأبدي
سادسًا: الصليب أساس المصالحة مع الله وإظهار بر الله
سابعًا: الصليب أساس الغلبة على الشيطان
ثامنًا: الصليب حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها

مُقدِّمة

لماذا الصليب؟ سؤال هام لابد أن يسأله كل إنسان عاقل، لماذا سمح الله بأن يُصلب أو يتألم إنسان لم يفعل شيئًا ولم يرتكب خطا؟ وكيف يسمح الله العادل أن يُقتل نبي من أنبيائه الكرام؟ وما هي الصلة بين الصليب وغفران الخطايا كما يؤمن البعض؟ كل هذه أسئلة هامة لابد من أن نجد لها جوابًا.

وباختصار شديد الصليب هو تحقيق العدالة السماوية، فإذا صفح الله عن الإنسان الذي أخطأ وارتكب الذنب فهو رحيم ولكن العدالة تطالب بالقصاص، والفدية أو الثمن.

أولاً: الصليب هو تحقيق عدالة الله ورحمته

حدثت هذه القصة في قرية صغيرة، إذ دخل سارق ليسرق منزلاً فشعر به أهل البيت، وقاموا لكي يمسكوه، ولكنه أخذ الابن الصغير رهينةً لكي يهرب، فصاح الأب "خذ ما تريد واذهب ولكن لا تطلق الرصاص على الولد الصغير، وظل الأب يترجى اللص ألَّا يقتل ابنه. لكن برغم أنه كان يمكنه الهروب وترك الابن يتمتع بنعمة الحياة، إلَّا أنَّه أطلق الرصاص على الابن فمات في تلك اللحظة.

صاح الأب وبكى بكاءًا شديدًا وحزن جدًا لموت ابنه - وفعلاً استطاع السارق أن يهرب - ولكن بعد أن تجمع أهل القرية، ثار غضبهم على هذا الحدث. كيف يحدث ذلك في قريتهم الآمنة، وقرروا أن يبحثوا عن القاتل السارق لكي يجدوه.

وفعلا استطاع رجال الشرطة القبض على القاتل ووضعوه في السجن، وبعد بضعة أيام جاء رئيس الشرطة لكي يطلب العفو من الأب عن هذا القاتل السارق، وقال له: "نحن نعلم أنك رجل متدين ونعرف أنك تؤمن برحمة الله، فإذا طلبت القصاص ضاع مستقبل هذا الشاب، ولذلك فأنا أطلب منك العفو عن هذا الشاب".

احتار الأب ماذا يفعل، ولكنه قال أين العدالة فأنت رجل القانون والعدالة، فكيف تأمر بالرحمة ولم تعرف العدالة. وثار أهل القرية وطالبوا بعزل رئيس الشرطة وفعلاً عُزل من منصبه لأنه يمثل القانون ويمثل العدالة.

هذه القصة توضح عدل الله ورحمته فى الوقت نفسه. إنَّ رحمة الله عظيمة وواسعة بلا حدود، ولكن إذا غُفر للإنسان خطاياه بدون أن يدفع ثمن الخطية، بذلك يكون رحيما ولكن ليس عادلًا. وبذلك تحققت رحمته ولم يحقق عدالته.

قال الرب في العهد القديم: "*إن النفس التي تخطئ هي تموت*"، ودخل الموت إلى العالم بعد أن أخطأ آدم وحواء بعصيانهما وصايا الله، وذلك هو الموت الجسدي إذ ينفصل الروح عن الجسد، فيعود الجسد إلى التراب وتذهب الروح إلى خالقها أمَّا الموت الروحي فهو الأنفصال عن حضرة الله وحضوره.

ونعرف من الكتب المقدسة أنه عندما أخطأ آدم وحواء، ذبح الله ذبيحة، وأخذ الجلد وغطى بها عري الإنسان بعد أن سأل آدم "أين أنت؟" فقال "سمعت صوتك فاختبأت لأنى عريان،" فقال له الله: "ومن أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة

التى أوصيتكم ألَّا تأكلا منها؟ لابد أن يترتب على عصيان الله ابتعادًا عنه والانفصال عنه. فقدم الله العلاج وهو الذبيحة. أي أن الله قد افتدي دم الإنسان بدم الذبيحة البريئة، رمزًا إلى الفداء الذي سيصنعه فيما بعد.

وقال الله لحواء إنَّه بسبب هذا الذنب والخطية سوف يضع عداوة بين نسل المرأة وبين الحية التي تمثل الشيطان، وأضاف واعدًا بأنَّ نسل المرأة أي مولود المرأة (الذي حسب فهمنا المسيح هو ابن مريم) سوف يسحق رأس الحية التي ترمز إلى الشيطان. وذلك ما تحقق في الصليب إذا قدم بذلك فداءً للإنسان عن خطاياه.

لذلك لكي يكون الله رحيمًا وفي نفس الوقت عادلاً، لأنَّ العدل والرحمة من صفات الله، كان يجب أن يقدم ذبيحة للفداء وأخذ قصاص الخطية وعقاب الموت الروحي الأبدي أي الابتعاد عن الله. (مزمور ٨٥) "*الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا*" وبذلك يمنح الانسان الخاطئ الغفران ويكون أيضًا قد حقق عدالته.

ثانيًا: الصليب هو تدبير الله الأزلي لخلاص الإنسان

يذكر الكتاب المقدس أنَّ الشيطان قد سقط في العصيان والتمرد على الله وقد أخذ معه الكثير من الملائكة معه وسقطوا في عصيان الله. ومنذ ذلك الوقت صار الشيطان وأعوانه أعداءً لملكوت الله، ولعمل الله وخليقته. ونعلم ذلك من الكتاب المقدس في (إشعياء١٤: ١٢؛ حزقيال٢٨: ١١- ١٥؛ سفر الرؤيا١٢: ٣- ٤).

وعلم الله، وهو العليم بكل شئ، فهو يعلم بكل شيء ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، بأنَّ الإنسان سوف يسقط في خطية العصيان من جراء إغراء الشيطان لحواء، ولذلك دبر للجنس البشري خلاصًا منذ تأسيس العالم ولكنه لم يصنع خلاصًا للملائكة الذين سقطوا (إبليس وأعوانه بل طرحهم في هلاك أبدي.

من غير المنطقي أن نعزو كل خطأ أو خطية إلى الشيطان، ونعفي أنفسنا من المسؤولية. فالإنسان مسؤول عن تصرفاته وعن اختياراته.

وعبَّر الرسول بطرس تلميذ المسيح عن ذلك الفداء الذي دبره الله لخلاص الإنسان فقال بوحي الروح القدس: "*عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ*" (١بطرس١: ١٨- ٢٠).

لذلك فإن تدبير أمر الخلاص عن طريق الفداء على الصليب لم يكن مجرد حدث في الزمان، ولكنه تدبير الله منذ الأزل، فالله يعرف ما سيحدث مستقبلاً، ولا يخفي عليه شيئًا فهو الذي أمر بأن "*النفس التي تخطئ هي تموت*".. ولذلك حقق عدالته بهذا الفداء الكفاري، الذي افتداه لنا المسيح على الصليب، وبذلك صار الله رحيمًا وعادلاً في تنفيذ أحكامه.

وكان الصليب أيضًا تحقيقًا للنبوات الكثيرة التي وردت عنه في العهد القديم، أي التوراة والمزامير (الكتب المقدسة)، إذ تحدثت عن نبوات أنبياء إسرائيل، كما سندرس فيما بعد، مثلما قال إشعياء النبي أنه "*هوذا عبدي يفعل ويتعالى*..." (إشعياء٥٢: ١٣- ١٥؛ إشعياء٥٣).

كذلك تحدَّث الملك داود عن موت المسيح وقيامته فقال: "*لأنك لم تترك نفسي في الهاوية*..." (مزمور٦٨: ١٨؛ قارن مع أفسس ٤: ٧- ٨) وأنهم سوف يُعلِّقونه على الصليب.

كذلك تنبأ الأنبياء قبل مئات السنين من مجئ المسيح، تنبأوا عن المسيح الذي سوف يقدم نفسه ذبيحة عن الخطايا وبعد ذلك يقوم من الأموات بعد صلبه ودفنه. برغم عدم إيمان اليهود بهذا الصليب كرمز للفداء، لكنهم لم يستطيعوا أن يحذفوا ولا حرفًا واحدًا من هذه النبوات التي وردت في التوراة، التي تتحدث صراحة عن مجئ المسيح المخلص وصلبه ودفنه وقيامته.

وسوف نتعرض لتلك النبوات في أثناء دراستنا للفداء والكفارة في العهد القديم أي ما قبل المسيح.

ثالثًا: الصليب هو أساس غفران خطايا الإنسان وكفارة الخطايا

الخطية حسب الكتاب المُقدَّس - ليست هي فعل الشر فقط، ولكنها الابتعاد عن الله وعن العلاقة معه - وبذلك يكون قد أخطأ كل إنسان، لأن الشر كامن في قلب الإنسان، والميول الغريزية للإنسان هي عصيان لوصايا الله وتعديًا على وصاياه. ولذلك فالإنسان سجين طبيعة فاسدة تميل للشر والخطية والابتعاد عن الله القدوس البار. لذلك يحتاج الإنسان للخلاص، ولا نجاة للإنسان من العقاب إلا إذا أنقذه الله بذاته من هذا المصير الأبدي.

ولأن أجرة الخطية هي موت كما تقول كلمة الله، لذلك صنع الله فداءً للإنسان وقد دبر الله هذا الفداء بسفك دم ليكون كفارة لأنه كما يقول للكتاب "*بدون سفك دم لا تحدث مغفرة*" (كما يحدثنا سفرالعبرانيين). وعبر التاريخ يحدثنا الكتاب المقدس عن الذبائح ابتداءً من آدم إلى مجيء المسيح وإليك أيها القارئ بعض الأمثلة.

1- الله يصنع فداءً لآدم وحواء (تكوين ٣)
2- هابيل قدم ذبيحة أفضل من قايين (تكوين ٤)
3- نوح قدم الذبيحة (تكوين ٨)
4- إبراهيم قدم ذبيحة فداءً عن ابنه (كبشًا عظيمًا) (تكوين ١٥)
5- أرى الدم وأعبر عنكم (موسى والضربات العشر) (خروج١١- ١٢)
6- ذبيحة الفصح (الخروج ١٢) التي صارت عيد سنوي لليهود
7- الله يأمر موسى بتقديم ذبيحة للخطايا للكفارة ويجعل فريضة أن يقدم الإنسان كفارة عن خطاياه ذبيحة للرب (لاويين ١)
8- الغنى يقدم أغنامًا أمَّا الفقير يقدم الحمام (لاويين٥) للتكفير عن الخطية
9- ذبيحة عن الشعب كل عام كفارةً عن خطايا الشعب (لاويين٦: ٣٠)
10-الذبائح كانت رمزًا لتقديم الله للذبيحة الكاملة

رابعًا: تنبّأ رجال الله القديسون بالذبيحة الكاملة

بينما كان شعب الله من نسل إبراهيم يعبد الله الواحد عبر العصور، انتشرت عبادة الأوثان في كل العالم التي ابتدعها عقل الإنسان.

ففي مصر عبد المصريون القدماء الذين بنوا الأهرامات وحنّطوا أجساد موتاهم للبقاء، آلهة من صنعهم منها ما يسمى "أوزوريس" و"إيزيس" و"حورس". ومنهم من عبدوا العجل "أبيس" وعبدوا الفيل، والشمس، والضفادع، والذباب.

وفي بابل القديمة، يقول التاريخ إنَّهم عبدوا أربعة آلاف إله حتى صارت "عشتار" معبودة رئيسية في البلاد كلها، ومعها "مردوخ" وجميعها عبادات وثنية.

وفي اليونان، عبد اليونانيون العديد من الآلهة مثل "أرطاميس" و"أفروديت" إلهة الحب، و"هرميس" المرشد السماوي، "وأثينا" ربة الحكمة، "وزيوس" إله الجو، وبانتشار السلطة الرومانية واللغة اليونانية انتشرت هذه العبادات الوثنية.

وفي بلاد العرب انتشرت عبادات الأصنام وقد عبدوا اللات، ومنات، والعزة، والقمر، ووضعوا رموزًا وأعلامًا لها، مثل علامة "الهلال".

وفي الهند انتشرت شتى الديانات خاصة "الهندوسية" وهي دين الغالبية في الهند. ومع الهندوسية انتشرت ديانة "بوذا" الذي يقدسه الكثيرون من الهنود.

وفي عصرنا الحديث أيضًا ازداد رفض العقلانيين لإله السماء والأرض وعبدوا العلم والتقدم فأنكروا وجودية الله وسلطانه وخطته لخلاص البشر.

نُبُوَّات عن صلب المسيح

أمَّا النُبُوَّات عن صلب المسيح فقد أعلن الأنبياء في العهد القديم بأن الله سوف يتدخل في مجرى التاريخ ويعلن ذاته ويأتي بالخلاص بنفسه.

1- تنبّأ النبي إشعياء عن ذلك الذي سوف يتألم ويموت ويقوم من الأموات وذلك قبل أكثر من سبعمائة عام من صلب المسيح فقال: *"قَدْ شَمَّرَ ٱلرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ ٱلأُمَمِ، فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ ٱلأَرْضِ خَلاَصَ إِلهِنَا. هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَفِعُ وَيَتَسَامَى جِدًّا. كَمَا ٱنْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ ٱلرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. هَكَذَا يَنْضِحُ أُمَمًا كَثِيرِينَ. مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مُلُوكٌ أَفْوَاهَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ."* (إشعياء ٥٢: ١٠ – ١٥).
"مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ ٱسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ ٱلرَّبِّ؟ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ ٱلنَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ ٱلْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ.

لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ ٱللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى ٱلذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ ٱلضُّغْطَةِ وَمِنَ ٱلدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ ٱلأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ ٱلأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.

أَمَّا ٱلرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِٱلْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ ٱلرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي ٱلْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ ٱلأَعِزَّاءِ وَمَعَ ٱلْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي ٱلْمُذْنِبِينَ." (إِشَعْيَاءَ ٥٣).

2- تنبأ موسى النبي عن المسيح فقال: *"يُقِيمُ لكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لهُ تَسْمَعُونَ. حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِي حُوريبَ يَوْمَ الاجْتِمَاعِ قَائِلاً: لا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلهِي وَلا أَرَى هَذِهِ النَّارَ العَظِيمَةَ أَيْضاً لِئَلا أَمُوتَ قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ"* (تثنية ١٨: ١٥- ١٨).
تنطبق هذه النُبُوَّة على المسيح وليس غيره فهو (اليهودي) الذي من إخوتهم وسط شعب اليهود ، وهو صانع المعجزات مثل موسى، وقد تكلّم بالكلام الذي جعله الله على فمه، تمامًا كما كلّم الله موسى فقد قال المسيح للتلاميذ: *"الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من ذاتي، ولكن الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال"* (يُوحنَّا ١٤: ١٠). وقال المسيح لليهود الذين رفضوا رسالته: *"لا تظنوا إني أشكوكم إلى الآب، يوجد الذي يشكوكم وهو موسى، الذي عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه كتب عني"* (يُوحنَّا ٥: ٤٥- ٤٦).

3- تنبأ ميخا النبي عن ميلاد السيد المسيح في بيت لحم اليهودية *"أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي ٱلَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ ٱلْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ ٱلأَزَلِ."* (مِيخَا ٥:٢

4- تنبّا داود النبي عن أنَّ المسيح سيموت مصلوبًا *"أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ ٱكْتَنَفَتْنِي. فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ. كَٱلْمَاءِ ٱنْسَكَبْتُ. ٱنْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَٱلشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي. يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ ٱلْمَوْتِ تَضَعُنِي. لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلأَشْرَارِ ٱكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ."* (مزمور ٢٢: ١٢ – ١٨).

5- تنبّأ داود النبي عن دفن السيد المسيح وقيامته (مزمور١٦: ١٠)، قارن مع (أعمال الرسل٢: ٢٩- ٣٢). *"لِذَلِكَ فَرِحَ قَلْبِي، وَٱبْتَهَجَتْ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا. لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي ٱلْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا. تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ ٱلْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى ٱلأَبَدِ."* (ٱلْمَزَامِيرُ ١٦: ١٠).

6- تنبّأ النبي إشعياء عن دفن السيد المسيح بين الأغنياء برغم أنه كان فقيرًا (إشعياء٥٣: ٩) وبرغم أنه كان يجب دفنه مع المجرمين ولا يحق له أن يُدفن مع الأغنياء إلَّا أنَّ هذه النُبُوَّة قد تحققت عندما أخذ (يوسف الرامي) جسد المسيح ودفنه في قبر جديد قد أعدّه (لوقا ٢٣: ٥٢).

"وَجُعِلَ مَعَ ٱلْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. أَمَّا ٱلرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِٱلْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ ٱلرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي ٱلْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ ٱلْأَعِزَّاءِ وَمَعَ ٱلْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي ٱلْمُذْنِبِينَ." (إشعْيَاءَ ٥٣: ٩ – ١٢).

7- تنبَّا داود النبي عن قيامة السيد المسيح فقال:*"لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي ٱلْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَاداً"* (مزمور١٦: ١٠)، وقد أعلن بطرس الرسول السيد المسيح تحقق هذه النبوة (أعمال٢: ٢٩- ٣٢).

8- تنبّأ النبي داود عن صعود السيد المسيح إلى السماء بعد قيامته بهذه الكلمات*"صَعِدْتَ إِلَى ٱلْعَلاَءِ. سَبَيْتَ سَبْيًا. قَبِلْتَ عَطَايَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ، وَأَيْضًا ٱلْمُتَمَرِّدِينَ لِلسَّكَنِ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ ٱلإِلهُ."* (مزمور٦٨: ١٨) وقد أكَّد بولس رسول المسيح في رسالة (أفسس٤: ٧- ٨) هذه الكلمات*"إِذْ صَعِدَ إِلَى ٱلْعَلاَءِ سَبَى سَبْيًا وَأَعْطَى ٱلنَّاسَ عَطَايَا."*

9- قال يُوحنَّا المعمدان إنَّ المسيح سيكون الذبيحة الكاملة *"هوذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم"*، ومع عدم إيمان اليهود بأن المسيح، الذي جاء وصلب وفعل المعجزات وعلم عن ملكوت الله، هو المسيَّا أو الذي وعد الآب بمجيئه. لم يحذفوا نُبُوَّة واحدة من هذه النُبُوَّات من الكتب المقدسة خاصة (إشعياء ٥٣) النبوة التي تتحدث بوضوح عن صلب السيد المسيح. وذلك يؤكد على أنَّ الله حارس لكلمته من التحريف ومن الحذف أو الإضافة، كيف لا وهي كلمة الله المقدسة.

10- أكَّد السيد المسيح لتلاميذه وللكنيسة قيامته من الأموات عندما تلميذين من تلاميذه في طريقهما إلى قرية اسمها "عمواس" (لوقا٢٤: ٤٤- ٤٨)، وقد صار واضحًا وضوح الشمس أنَّ سفك دم المسيح الكريم كان تدبيرًا إلهيًا أزليًا، وأنَّ إي إنكار لهذا الصلب هو ادِّعاء ثبت بطلانه، ولا أساس له من الصحة. ولكن المشكلة في عصرنا الحاضر أنَّ الناس انشغلوا بأمور المعيشة، وبالسياسة، وأمور هذا العالم، ولا يُبالون بمعرفة الحقائق ولا يقرؤون أو يبحثون عن الحقيقة. فيصدقون كل من ادَّعى أمرًا أو قال قولاً. قال السيد المسيح: *"تضلون إذ لا تعرفون الكتب."*

خامسًا: الصليب أساس نجاة الإنسان من الهلاك الأبدي

إنَّ التوبة الصادقة والعمل الصالح لا يكفيان لإتمام فداء الإنسان والعفو عنه ونجاته من الهلاك الأبدي، لأن الثمن لم يدفع بعد، إذ يقول الكتاب المقدس: "*بدون سفك دم لا تحدث مغفرة*".

ولكي يكون الله عادلاً ورحيمًا في الوقت نفسه، أرسل المسيح لكي يموت على الصليب ويُسفك دمه فيكون ذلك الدم هو استيفاء عدالة الله الكاملة وتتحقق فيه رحمة الله. فإذا تاب مجرمًا وقال إنَّه لن يعود يفعل الجريمة فهذا لا يكفي للعفو عنه إذ هناك ثمنًا يجب أن يُدفع وعقابًا يجب أن يُنفذ تحقيقًا للعدالة.

وبهذا الاتِّضاع أعلن المسيح محبة الله لأنه*"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"* (يُوحنَّا ٣: ١٦)، ويقول أيضًا*"إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى"* (يُوحنَّا ١٣: ١).

ولكي نفهم أكثر قصة النجاة من الهلاك الأبدي يجب أن نعود إلى الوراء إلى أيام موسى عندما كلَّفه الله بأن يقود شعب إسرائيل من العبودية لكي يُعبد الله بحرية (خروج ١٢: ١ – ١٣)

لذلك أوصى الله أن يكون الدم هو العلامة التي بها يخلُص كل ابنٍ بكر (خروج ١٢: ١٣)، ولذلك رش الدم فوق عتبة البيت وحول القائمتين من الباب وليس أسفله لكي يرى الملاك المُهلك ويعبر ولذلك يصير هتاف نجاة من الهلاك.

وبعد أن عبر شعب إسرائيل إلى الحرية، أوصى الرب الإله أن تقدِّم كل عائلة ذبيحة أو شاه تعبيرًا عن الاحتماء في الدم الذي هو علامة الفداء للنجاة من عقاب وللنجاة من الهلاك الأبدي.

وكان هناك شرط لهذه الذبيحة، ألَّا يكون فيها عيب، فلا تكون الشاه مريضة أو عرجاء أو عمياء ولكن تكون صحيحة كاملة، وذلك أيضًا رمزًا للمسيح الذي هو بلا عيب. لذلك أجاب أعدائه قائلاً *"من منكم يُبكِّتني على خطية"* (يُوحنّا ٨: ٤٦). فهو الوحيد المُنزّه عن الخطأ والمعصوم من الذلل لأنه ابن الله (١بطرس ٢: ٢٢؛ يُوحنَّا ٣: ٥).

إن النجاة من الهلاك ارتبطت بأن يؤمن العبراني أي اليهودي أو أي شخص آخر أنَّ الدم الذي سيرشه على عتبة الباب هو الذي سينجيه ولن يُنجيه إلَّا الإيمان. وكل من يؤمن أنَّ دم المسيح وفداءه حسب ترتيب وقصد الله، ذاك الذي سوف ينجو من العذاب والهلاك الأبدي.

سادسًا: الصليب أساس غفران خطايا الإنسان

الخطية ثِقلٌ رهيب ليس في قدرة الإنسان احتماله حين يستيقظ ضميره أو حين يُبكِّته روح الله القدوس ويضع خطايا نُصب عينيه. فعندما واجه الرب الإله قايين بخطية قتله لأخيه صرخ قائلاً *"ذنبي أعظم من أن يحتمل"* (تكوين ٤: ١٣).

بكى داود النبي وهو يعبر عن شعور الإنسان بذنبه فيقول (مزمور ٣٨: ٣ – ٧).

فالخطية تترك أثرها على النفس البشرية وعلى جسده أيضًا، فتتدهور صحته وتهرب قدراته فيحاول الهرب إمَّا بالانغماس في المُسكر أو المخدرات أو العقاقير أو حتى العمل، ولكننا لا نستطيع الهروب من روح الله الذي هو في كل مكان .

ولكن ماذا يعني "الغفران"؟

الغفران هو "العفو" أو أنَّ الله لا يعود يذكر خطايانا ويطرحها في بحر النسيان فتكون مثل الغيوم التي عبرت ولا توجد فيما بعد. فإذا آمن الإنسان بالمسيح ليس فقط إيمان المعرفة ولكن الإيمان الذي يضع كل ثقته ويقينه في عمل الله وفداءه في الصليب يحصل ذلك الإنسان على الغفران الأبدي.

"يَعُودُ يَرْحَمُنَا يَدُوسُ آثَامَنَا وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ" (ميخا ٧: ١٩).

والغفران يعني أنَّ الله سوف يمحو الخطايا مثلما تُمحى السحابة السوداء ولا توجد بعد (إشعياء ٤٤: ٢٢). وقد وعد الله أنه سوف لا يذكر خطايانا فيما بعد (إشعياء ٥٣: ٢٥). ويصير الإنسان قريبًا من الله (أفسس ٢: ١٣؛ مزمور ١٠٣: ١٢). فيتطهَّر الضمير ولا يعود يشعر بثِقل الخطية لأنها قد سُترت ولم يعد يذكرها بعد (عبرانيين ٩: ١٣ – ١٤). ولكن هذا الغفران يرتبط بالإيمان بأنَّ المسيح قد سفك الدم وأوفى العدالة الإلهية.

ولكن كيف يمكن لفرد واحد أن يسدد أجرة الملايين من البشر الذين يؤمنون؟ والجواب: ما رأيك في العَلَم الذي يراه الجميع من على سطح بعيد أو يراه الملايين إذا نُقِلت صورته على الهواء. وقد عبَّر المسيح عن ذلك في كلماته (يُوحنَّا ٣).

"وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى ٱلْحَيَّةَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ. لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ. لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ ٱللهُ ٱبْنَهُ إِلَى ٱلْعَالَمِ لِيَدِينَ ٱلْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ ٱلْعَالَمُ. ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُدَانُ، وَٱلَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِٱسْمِ ٱبْنِ ٱللهِ ٱلْوَحِيدِ." (يُوحَنَّا ٣: ١٤ – ١٨).

ولكن ما هى قصة الحية النحاسية؟ عندما لدغت الحيَّات شعب اسرائيل في البريَّة ذهب موسى إلى الرب يطلب منه أن يشفي الشعب، فأمره الله أن يصنع حيَّة من النحاس ويعلِّقها علي خشبة لأعلى. وكل من ينظر إلى هذه الحيَّة ينال بالإيمان هذا الشفاء.

في هذا التشبيه يشير يُوحنَّا إلى أنَّ تعليق الحية النحاسية يشابه تعليق المسيح على الخشبة وعندما ينظر الإنسان لأعلى يشفى. وذلك لا يحدث إلَّا بالإيمان.

أمَّا السؤال الثاني فهو: لماذا يُصلب إنسان برئ من أجل ذنب أناس آخرين؟ فإذا كان المسيح بريئًا فلماذا يموت عن الآخرين وهل يوفي ذلك عدالة الله؟ إنَّ قانون المحبة أسمى من قانون العدل. إنَّ المسيح البرئ هو *"الكلمة الذي صار جسدًا"* وذلك من أجل محبته الكثيرة ولأجل هدف واحد وهو دفع ثمن الخطية.

لذلك بذل نفسه اختيارًا وليس قصرًا، فقال عن ذاته إنَّه *"لديه السلطان أن يضعها أو أن يأخذها، ولكنه وضع ذاته بمحبة فائقة لكي يتمم هذا الخلاص"* (فيلبّي ٢: ٥ – ٨).

كيف يتبرّر الإنسان الخاطئ أمام الله؟
"مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رومية ٥: ١٢)

يتبرّر الإنسان الخاطئ بالتوبة الحقيقية والإيمان بالمسيح وبالصليب الذى أعطانا فيه الفداء والغفران ونال ذلك بالإيمان. *"واذ قد تبرّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله"*.

والفعل يتبرَّر يعني أن يصبح الإنسان مُبرّرًا أمام الله أو يُحسب "بارًا". ولا يستطيع الإنسان أن يتبرّر بأعماله الصالحة برغم أهميتها. فلا يستطيع الإنسان القول بإنَّه قد تبرَّر أمام الله بالإيمان ولكن أعماله مازالت تثبت عكس إيمانه. ولكنه لن يتبرر إلَّا إذا آمن ووضع كل ثقته ورجاؤه على هذه النعمة، نعمة الفداء وعطية الروح القدس.

"وَقَدْ صِرْنَا كُلُّنَا كَنَجِسٍ وَكَثَوْبِ عِثَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا وَقَدْ ذَبُلْنَا كَوَرَقَةٍ وَآثَامُنَا كَرِيحٍ تَحْمِلُنَا" (إشعياء ٦٤: ٦)..

"لأَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضاً قَبْلاً أَغْبِيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ، مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ، مَمْقُوتِينَ، مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً. وَلَكِنْ حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ - لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ -خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (تيطس ٣: ٣ – ٥).

"وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ لإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لِيَكُونَ بَارّاً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (رومية ٣: ٢١ – ٢٦).

فتقديم المسيح نفسه قربانًا كان أولاً، لإرضاء عدل الله وإظهار بره، وفي صليبه أثبت أنَّ الله بار وذلك لأن عدله يستوجب دفع الثمن لأن النفس التي تخطئ هي تموت. وهو الذي لم يشفق على ابنه الوحيد بل بذله لأجلنا أجمعين لكي ننال الحياة الأبدية.

سابعًا: الصليب أساس المصالحة بين الله والناس

لقد كان الصليب هو أساس المصالحة بين الإنسان الخاطئ والله القدوس.
يقول النبي إشعياء ٤٥: ٦: *"لِيَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ."*

دم المسيح الكريم هو أساس المصالحة مع الله .يقول النبي إشعياء: *"وَيْلٌ لِمَنْ يُخَاصِمُ جَابِلَهُ. خَزَفٌ بَيْنَ أَخْزَافِ الأَرْضِ. هَلْ يَقُولُ الطِّينُ لِجَابِلِهِ: مَاذَا تَصْنَعُ؟ أَوْ يَقُولُ: عَمَلُكَ لَيْسَ لَهُ يَدَانِ؟"* (إشعياء ٤٥: ٩). ومع ذلك فإن الإنسان بطبيعته الساقطة يعلن عداءه لله، أو بمعنى آخر يعلن خصومته لله.

هناك عدة أسباب لعداوة الإنسان لخالقه.
أول سبب هو الخطية. فالخطية تعني التَّعدي على وصايا الله كما قال يوحنا البشير: *"كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضًا. وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي."* (١ يُوحنَّا ٣: ٤). والخطية هي كل ما ليس من الإيمان: *"كُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيَّةٌ"* (رومية ١٤: ٢٣).

الخطية بكل صورها تقف سدًا فاصلاً بين الله والإنسان، وتعلن بصورتها البشعة عداء الإنسان لله *"هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقُلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ. بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ."* (إشعياء ٥٩: ١ – ٢).

وتتركز خطية الإنسان في فكره وفي أعماله الشريرة كما يقول بولس الرسول: *"وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ."* (كولوسي ١: ٢١).

وتظهر عداوة الإنسان في إنكاره لوجود الله، *"قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلهٌ». فَسَدُوا وَرَجِسُوا رَجَاسَةً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا. اَللهُ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟ كُلُّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ"* (مزمور ٥٣: ١ – ٣).

ويطلق الله على الإنسان الذي ينكر وجوده صفة "الجاهل" لأنه يجهل حقيقة الإبداع والإتقان في الخليقة التي خلقها الله، ويجهل الدقة والروعة التي خلق بها الله الإنسان، ويجهل العالم الروحي الذي يحيط بالإنسان.

وتظهر عداوة الإنسان لخالقه في أعماله الشريرة، *"وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ. مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنىً وَشَرٍّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلاً وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ مُبْغِضِينَ لِلَّهِ ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ بِلاَ فَهْمٍ وَلاَ عَهْدٍ وَلاَ حُنُوٍّ وَلاَ رِضىً وَلاَ رَحْمَةٍ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ!"* (رومية ١: ٢٨ – ٣٢).

السبب الثاني هو الفواجع والكوارث الساحقة التي تصيب الإنسان.

قالت لي سيدة مُسِنّة: أنا أبغض الله بغضًا شديدًا، لأنَّه أخذ أمي وأنا في الثانية عشرة من عمري، كنت في حاجة إلى رعايتها ونصائحها... ولكن الله قاسي القلب أخذها.

ومن الغريب أن ينكر الإنسان وجود الله في قلبه المظلم، فإذا حدثت كارثة طبيعية كالفيضانات والأعاصير التي تغرق الألوف، أو الزلازل التي تهدم البيوت وتشرد سكانها، أو كارثة إنسانية كحوادث اصطدام القطارات والسيارات، أو سقوط الطائرات فإنه يرفع صوته مجدفًا على الله، وينسب إليه – تبارك اسمه – عدم المبالاة.

وقد تأمَّل أيوب في الكوارث التي أصابته، كيف فقد في يوم واحد سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل، وخمسمئة فدان بقر (أي ألف بقرة)، وخمسمئة أتان. وزاد على كل ذلك أنَّ البيت الذي اجتمع فيه بنوه وبناته صدمته ريح شديدة فسقط عليهم وماتوا جميعًا.

وبعد كل هذه المصائب ضرب الشيطان أيوب بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته (أيوب ١: ١ – ٩؛ ٢: ٧). وهنا نطق أيوب بالكلمات: *"قَدْ كَرِهَتْ نَفْسِي حَيَاتِي. أُسَيِّبُ شَكْوَايَ. أَتَكَلَّمُ فِي مَرَارَةِ نَفْسِي قَائِلاً لِلَّهِ: لاَ تَسْتَذْنِبْنِي. فَهِّمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! أَحَسَنٌ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ أَنْ تَرْذُلَ عَمَلَ يَدَيْكَ وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الأَشْرَارِ؟"* (أيوب ١٠: ١ – ٣). لم يخاصم الرب أيوب ولكن أيوب لم يعرف ما دار بين الرب والشيطان من حديث بخصوصه، وفي جهله قال للرب: *"فَهِّمني لماذا تخاصمني؟"*. وكثيرون خاصموا الرب بسبب المصائب التي أصابتهم.

السبب الثالث هو بُغض الإنسان لأخيه الإنسان.
في الأسرة الواحدة، تبغض الحماة كِنّتها، والكِنّة حماتها، ومرارًا يبغض الأخ أخاه، والأب ولده، ويبغض الزوج زوجته والزوجة زوجها. وحين يبغض الإنسان أخاه يبغض الله، *"إِنْ قَالَ أَحَدٌ: «إِنِّي أُحِبُّ اللهَ» وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟"* (١ يُوحنَّا ٤: ٢٠).

قال يُوحنَّا تلميذ السيد المسيح: *"مَنْ قَالَ إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ، فَهُوَ إِلَى الآنَ فِي الظُّلْمَةِ. مَنْ يُحِبُّ أَخَاهُ يَثْبُتُ فِي النُّورِ وَلَيْسَ فِيهِ عَثْرَةٌ. وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ"* (١ يُوحنَّا ٢: ٩ – ١١). فمن يُبغِض أخاه يعلن خصومته لله.

السبب الرابع هو الغِنى الكثير.
هذا هو السبب الذي دفع أجور ابن متقية أن يرفع للرب هذه الصلاة: *"اثْنَتَيْنِ سَأَلْتُ مِنْكَ فَلاَ تَمْنَعْهُمَا عَنِّي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ: أَبْعِدْ عَنِّي الْبَاطِلَ وَالْكَذِبَ. لاَ تُعْطِنِي فَقْراً وَلاَ غِنىً. أَطْعِمْنِي خُبْزَ فَرِيضَتِي لِئَلاَّ أَشْبَعَ وَأَكْفُرَ وَأَقُولَ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ؟» أَوْ لِئَلاَّ أَفْتَقِرَ وَأَسْرِقَ وَأَتَّخِذَ اسْمَ إِلَهِي بَاطِلاً"* (أمثال ٣٠: ٧ – ٩).

الإنسان لا يحتمل الغِنى الكثير، ولذلك كلَّم الرب شعبه بعد خروجهم من أرض مصر قائلًا:
"لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ آتٍ بِكَ إِلى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ أَرْضِ أَنْهَارٍ مِنْ عُيُونٍ وَغِمَارٍ تَنْبَعُ فِي البِقَاعِ وَالجِبَالِ. أَرْضِ حِنْطَةٍ وَشَعِيرٍ وَكَرْمٍ وَتِينٍ وَرُمَّانٍ. أَرْضِ زَيْتُونِ زَيْتٍ وَعَسَلٍ. أَرْضٌ لَيْسَ بِالمَسْكَنَةِ تَأْكُلُ فِيهَا خُبْزاً وَلاَ يُعْوِزُكَ فِيهَا شَيْءٌ. أَرْضٌ حِجَارَتُهَا حَدِيدٌ وَمِنْ جِبَالِهَا تَحْفُرُ نُحَاساً. فَمَتَى أَكَلْتَ وَشَبِعْتَ تُبَارِكُ الرَّبَّ إِلهَكَ لأَجْلِ الأَرْضِ الجَيِّدَةِ التِي أَعْطَاكَ. اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَنْسَى الرَّبَّ إِلهَكَ وَلا تَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَفَرَائِضَهُ التِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ. لِئَلا إِذَا أَكَلْتَ وَشَبِعْتَ وَبَنَيْتَ بُيُوتاً جَيِّدَةً وَسَكَنْتَ وَكَثُرَتْ بَقَرُكَ وَغَنَمُكَ وَكَثُرَتْ لَكَ الفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَكَثُرَ كُلُّ مَا لَكَ يَرْتَفِعُ قَلْبُكَ وَتَنْسَى الرَّبَّ إِلهَكَ الذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ العُبُودِيَّةِ الذِي سَارَ بِكَ فِي القَفْرِ العَظِيمِ المَخُوفِ مَكَانِ حَيَّاتٍ مُحْرِقَةٍ وَعَقَارِبَ وَعَطَشٍ حَيْثُ لَيْسَ مَاءٌ. الذِي أَخْرَجَ لَكَ مَاءً مِنْ صَخْرَةِ الصَّوَّانِ الذِي أَطْعَمَكَ فِي البَرِّيَّةِ المَنَّ الذِي لَمْ يَعْرِفْهُ آبَاؤُكَ لِيُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيُحْسِنَ إِلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ. وَلِئَلا تَقُولَ فِي قَلْبِكَ: قُوَّتِي وَقُدْرَةُ يَدِيَ اصْطَنَعَتْ لِي هَذِهِ الثَّرْوَةَ. بَلِ اذْكُرِ الرَّبَّ إِلهَكَ أَنَّهُ هُوَ الذِي يُعْطِيكَ قُوَّةً لاصْطِنَاعِ الثَّرْوَةِ لِيَفِيَ بِعَهْدِهِ الذِي أَقْسَمَ لآبَائِكَ كَمَا فِي هَذَا اليَوْمِ" (تثنية ٨: ٧ – ١٨).

الغِنى الكثير يدفع الإنسان إلى نسيان الرب، والتعالي على الآخرين وإلى الازدراء بهم. وقد يقود ذلك إلى إساءة معاملتهم واستغلالهم. وبهذا النسيان يعلن عداءه للرب إذ يتجاهل وجوده.

وعداوة الإنسان لله تحرمه من سلام الله، وتجعل حياته بائسة مهما حاول تغطية شقائه وبؤسه بشتى الوسائل. إنما المصالحة مع الله تعطي الإنسان فكرًا جديدًا ومحبة للآخرين وتقديرا لهم مهما قل شانهم.

السبب الخامس هو محبة العالم.
يقول يعقوب في رسالته: *"أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبّاً لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوّاً لِلَّهِ"* (يعقوب ٤: ٤). والعالم الذي يذكره يعقوب ليس عالم البشر الذين أحبهم الله (يُوحنَّا ٣: ١٦) بل هو النظام العام الذي وضع تحت سيادة إبليس والذى قال عنه يُوحنَّا الرسول: *"نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ اللهِ، وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ"* (١ يُوحنَّا ٥: ١٩) وهو النظام الذي قال عنه أيضًا *"لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ"* (١ يُوحنَّا ٢: ١٥ – ١٦). من يحب هذا النظام الدنيوي الفاسد يعلن عداوته وخصومته لله.

كيف يتصالح الإنسان النجس مع الله القدوس؟
وما معنى المصالحة مع الله؟
الكلمة "مصالحة" تشير إلى أنَّ هناك خصومة بين اثنين، هذه الخصومة فرّقت بينهما، فالواحد أساء للآخر، والإساءة جرحت الآخر وأوجدت هوة في العلاقات بين الطرفين، وزرعت الخوف في قلب المُخاصِم.

والمصالحة تبدأ بمعرفة أسباب الخصومة، ومعرفة ذاك القادر على إزالتها، وإعادة الطرفين المتخاصمين إلى علاقات المحبة والسلام.

فيعقوب كان خائفًا من لقاء أخيه عيسو ودفعه الخوف للصلاة إلى الرب: *"نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي مِنْ يَدِ عِيسُوَ لأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَضْرِبَنِي الأُمَّ مَعَ الْبَنِينَ"* (تكوين٣٢ : ١١). وقد استجاب الرب صلاة يعقوب، فلما اقترب من عيسو *" فَرَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ، وَبَكَيَا."* (تكوين٣٣: ٤). زال الخوف من قلب يعقوب بعد أن تصالح مع أخيه عيسو.

وهذا ما يحدث للإنسان حين يتصالح مع الله، يزول الخوف من قلبه، ويمتلئ القلب بالسلام.

أدرك أيوب عجزه عن أن يتصالح مع الله إلَّا إذا وجد مُصالِحٌ يضع يده على يد الرب وعلى يده ويجمعهما معًا فقال: *"لأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ إِنْسَاناً مِثْلِي فَأُجَاوِبَهُ فَنَأْتِيَ جَمِيعاً إِلَى الْمُحَاكَمَةِ. لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا!"* (أيوب٩: ٣٢ – ٣٣).٣٣).

والمُصالِح الوحيد الذي بإمكانه مصالحة الله مع الإنسان هو يسوع المسيح، على أساس دمه الكريم,

فدم المسيح الكريم يقربنا إلى الله، ويعيد شركتنا معه، ويصالحنا معه. وهذا ما أعلنه بولس الرسول لليهود والأمم الذين آمنوا بفاعلية دم المسيح الكريم فجعلهم واحدًا وأزال العداوة التي بينهم، إذ قال لهم :
"لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَاناً مَصْنُوعاً بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلاَ إِلٰهٍ فِي الْعَالَمِ. وَلٰكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاِثْنَيْنِ وَاحِداً، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً، صَانِعاً سَلاَماً، وَيُصَالِحَ الاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ. فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ"
(أفسس ٢: ١١ – ١٧).

ومرّة ثانية كتب بولس الرسول للقديسين في كولوسي:
"شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ.... لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ انْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَا عَلَى الأَرْضِ امْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ" (كولوسي ٢: ١٢ – ١٤؛ ١٩ – ٢٢).

ويذكر الرسول في كلماته مُصالِحًا "ما على الأرض أم ما في السماوات"، ونرى في كلمات بولس الرسول المصالحة الأبدية للخليقة حين تُعتق من عبودية الفساد إلى حرية أولاد الله.

وتستوقفنا كلمات "أم ما في السماوات"، ولعل تمرُّد إبليس وملائكته، وسقوطه بعد أن كان *"خاتم الكمال ملآن حكمة وكمال الجمال"* (حزقيال ٢٨: ١٢). وتمرُّد ثلث الملائكة معه، جعل السماء غير طاهرة بعيني الرب كما قال أليفاز التيماني لأيوب: *"هُوَذَا قِدِّيسُوهُ لاَ يَأْتَمِنُهُمْ وَالسَّمَاوَاتُ غَيْرُ طَاهِرَةٍ بِعَيْنَيْهِ"* (أيوب ١٥: ١٥). وسيأتي الوقت الذي فيه تتم المصالحة الأبدية للخليقة كلها *"لأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ. إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ طَوْعاً بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا - عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضاً سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ"* (رومية٨: ١٩ – ٢١).

وفي ذلك الوقت لن يوجد مكان لإبليس وملائكته في السماء (رؤيا ١٢: ٧) وسوف تتم المصالحة الأبدية لما على الأرض وما في السماوات.

الإنسان الآثم لا يمكنه أن يتقدم إلى الله بلا وسيط، والوسيط الوحيد الذي في قدرته أن يصالح الله مع الإنسان هو يسوع المسيح *"لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ"* (١تيموثاوس ٢: ٥). فالمسيح هو الوسيط الوحيد لأنه ابن الله، فهو يستطيع أن يضع يده على يد الله بلاهوته، وأن يضع يده على يد الإنسان بناسوته، وأن يصالح الله والإنسان بدمه الكريم.

يذكر بولس الرسول صفات الإنسان الطبيعي: فهو ضعيف، وهو فاجر، وهو خاطئ، وهو عدو لله (رومية ٥: ٦ – ١٠)، ولكنه يذكر مع هذا كله أنَّ الله صالَح هذا الإنسان بموت ابنه، أي بدم المسيح الكريم فيقول: *"لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالأَوْلَى كَثِيراً وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ"* (رومية ٥: ١٠).

دم المسيح الكريم هو أساس المصالحة مع الله، والإنسان الذي تصالح مع الله يعيش في سلام، ويمتلئ قلبه بالبهجة .
"فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ إِلَى هٰذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللهِ" (رومية٥: ١ – ٢).

وأخيرًا، الصليب حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها

يذكر مؤرخ تاريخ اسرائيل يوسيفوس اليهودي أنَّه في عهد بيلاطس البنطي قُدِّم للصلب شخصٌ إدَّعى أنَّه المسيح. وكذلك قد ورد في سجلات الدولة الرومانية أمر صلب السيد المسيح في عهد بيلاطس الوالي والذى مازال محفوظا حتى الآن. وقد دارت كرازة تلاميذ المسيح وأتباعه حول عمل المسيح على الصليب وفدائه وقدموا حياتهم استشهادًا من أجل هذه الرسالة.

لقد شهد التاريخ أنَّ المسيح قد جاء، وقد شهد المؤرخ اليهودي "يوسيفوس " عن الصلب وعن المسيح وشهد آخرون مثل بليني الصغير أنَّ المسيح قد جاء.

أسئلة

هذه الأسئلة تعبر عن محتويات الدرس وقد لا تعبر عن رأيك الخاص ولكنك ستنتقل إلى الدرس التالي على أي حال.

1- شهد المؤرخ اليهودي يوسيفوس عن صلب المسيح.
نعم لا

2- الصليب هو محور المسيحية إذ تدور حوله فكرة الفداء.
نعم لا

3- الصليب مثل الحية النحاسية كل من نظر إليها بالإيمان شفى - كما ورد في إنجيل يُوحنَّا ٣
نعم لا

4- القيمة الحقيقة للصليب في الغفران واستعادة العلاقة بين الله والإنسان وليس فى زيارة مكان الصلب أو الحصول علي قطعة من خشبة الصليب.
نعم لا

5- تنبّأ أنبياء العهد القديم بصلب المسيح وتم ذلك حرفيًا كما يُعلِّمنا الكتاب المُقدَّس.
نعم لا رأى اخر

6- شرح تلاميذ السيد المسيح أهمية الصليب فى الأناجيل وباقى الرسائل (مثل بطرس ويُوحنَّا).
نعم لا

7- تكلَّم المسيح مع تلاميذه عن تسليمه للموت وآلامه، لكنهم رفضوا في البداية إدراك ذلك؛ لأنَّهم اعتقدوا أنَّ المسيح سوف يكون ملكًا لإسرائيل لكى ينجيهم من أعدائهم.
نعم لا

8- كلمة الإنجيل تعنى الخبر السار، أنَّ المسيح قد جاء ليصنع لنا فداءً على الصليب.
نعم لا

9- عندما قال سمعان لأم المسيح مريم إنَّه سوف يجوز في قلبها سيف فقد كان بروح النبوة يتحدث عن أنَّها سوف تشهد موت المسيح على الصليب ولا تستطيع أن تفعل شيئًا.
نعم لا

10- قال بولس رسول السيد المسيح إنَّ الصليب هو قوة الله للخلاص وذلك لفهمه للعهد القديم وبالأخص عن الذبيحة والكفارة.
نعم لا